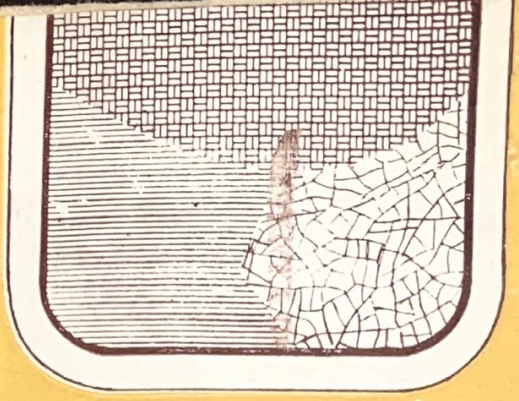

الثقافة الأسبوعية

الحرية ● الأصالة ● المعاصرة

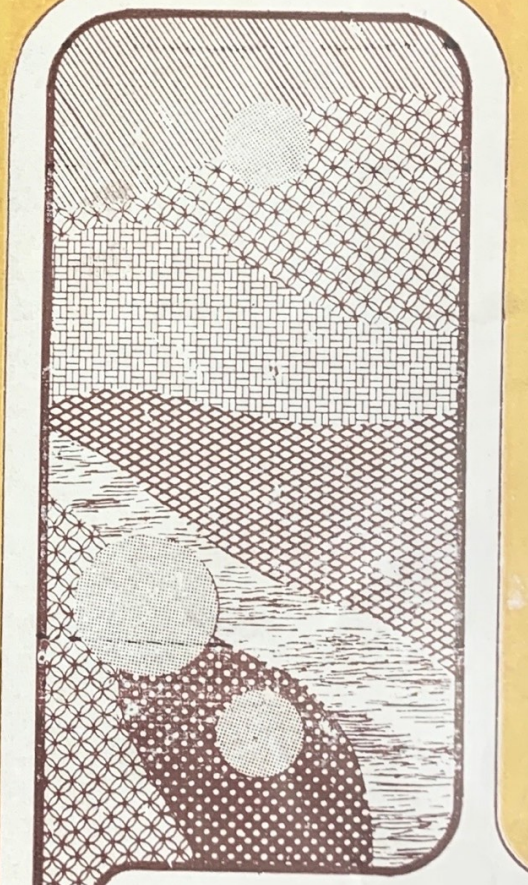

مجلة أدبية
تصدر كل خميس

العدد ٦٦
٣٠ يناير ١٩٧٥

القدرة على التطور علامة على الاصالة لا تخيب · وحسن فتح الباب فى ديوانه الأخير « حبنا أقوى من الموت » (سلسلة مطبوعات الجديد ، يناير ١٩٧٥) يبرهن على انه شاعر أصيل ، لا يكرر نفسه ، لأنه ـ الى جانب احتفاظه بغنائيته الباكرة ـ لا يفتأ يثريها بعناصر درامية وتشكيلية تضيف الى آلته الموسيقية اوتارا جديدة ، وتكسب قصائده المزيد من التركيب والتعقيد ·

حسن فتح الباب فى ديوانه الجديد

● ماهر شفيق فريد ●

فى الديوان ـ كما هو واضح من عنوانه ـ توتر خلاق بين مبدأين : الحب والموت ، كلاهما يسعى الى السيطرة على الوجود الانسانى ، بل والطبيعى أيضا ، ولكن الشاعر ـ والشعراء دائما فى صف الحياة ـ يخف الى نصرة عناصر الحياة والبعث والتجدد ، على كافة المستويات : الفردى ، والقومى ، والكونى ·

هذا التوتر ماثل فى القصيدة الأولى « الى الملتقى يا نخيل السويس » حيث يقول الشاعر :

فجئت على شفتى طائر عاد بعد العبور
يقاسمنا عيده ·· والعبير يضم شتات الزهور
نقاسمه ذكريات غرام قصير
ولكنه حبنا كان أقوى من الموت ··
·· من زمن ضاع منا ولكننا ما فقدنا
سوى قمر حالم لا يثور
يموت الزمان الكئيب ويبقى المكان الحبيب
تضىء اساريره ذكريات العذاب
وروح التحدى ويخضر غصن الشباب
(ص ١٧ ، ١٨)

ان بناء هذه الابيات ليس بسيطا على ما قد يبدو : فليس الوجدان فقط هو الذى بنى هذه الصور المتراكبة ، وانما العقل أيضا · انه ذكاء المخيلة المبدعة التى تستطيع ان تخلق نعتا لا ينسى من نوع « قمر حالم لا يثور » وتجمع بين المعاناة والاصرار فى سياق واحد : بين « ذكريات العذاب » و « روح التحدى » كما تستطيع ان تصل بين الابيات فى مجرى واحد متدفق لا تعمل فيه ، حتى لتغدو المقطوعة ـ لا البيت هى وحدة القصيدة ·

حسن فتح الباب

ليس هذا ديوانا من الشعر الوطنى بالمعنى الضيق للكلمة : انما هو ديوان يستوطن الطبيعة وقلب الانسان · وتنم قصائد حسن فتح الباب الأخيرة ـ هذه الكونيات ـ على ان الحدود تنمحى أمام باصرة الشاعر، وان آفاقه تترامى وترحب، حتى ليغدو الكون كله مأواه ·

هذا الاستشراف للمجهول يقابله وعى تاريخى يقظ ، وحس بالتجربة البشرية عبر العصور ، واستفادة من معطيات الماضى · انه عناق العينى والمجرد ، الزمن والابدية· وليس من قبيل المصادفات ان نجد فى قصائد هذا الديوان اشارات تاريخية كثيرة: الى بلال الذى الهم العقاد كتابا ، الى يهوذا الذى باع السيد المسيح بخمسين قطعة من الفضة ، الى جنود المقوقس وفتح عمرو بن العاص مصر ، الى مزامير داود ، الى الطير الابابيل ، وهذا كله فى قصيدة واحدة هى التى يبدأ بها الديوان ·

وفى مواضع أخرى نجد اشارات الى المن والسلوى اللذين انزلهما الله على بنى اسرائيل ، والى جبل احد (قصيدة العيون) · وثمة صدى من نشيد الانشاد « وجدت من تجهم نفسى » (قصيدة احتفال ليلة الميلاد) كما ان هناك ـ فى قصيدة « حبنا أقوى من الموت » ـ اشارة الى قصة يونس فى بطن الحوت ، تلك التى الهمت كامو احدى قصصه القصيرة ، والهمت شفيق مقار قصة أخرى هى « يونان » (مجلة « المجلة ») ، وفى قصيدة « رؤيا على أرض الفيروز» نجد اشارات الى ايزيس واوزيريس وحتحور ،وبياتريس محبوبة دانتى ·

ان لحسن فتح الباب صوته الذى لايختلط بغيره من الاصوات ، ولكننا نسمع أحيانا شعراء آخرين من فوق كتفه ، وليس هذا تأثرا قدر ما هو نتاج المناخ المشترك بين الشعراء · وهكذا فان بيتا من نوع :

وارجوحة فى ملاهى القمر (ص ٤٠)

أو

مد بالاغراء حبلا جدلته الذكريات (ص ٨٠)

كان يمكن ان يكتبه صلاح عبد الصبور · وان بيتين من نوع :

فلتحتضن عشاشها الحمائم المهاجرة
ولترجموا الافعى (ص ٤٧)

كان يمكن ان يكون صاحبهما محمد ابراهيم أبو سنة ٠

وبيت :

يا حبيبى يكبر الحلم على خطو الجنود
(ص ٨٦)

يمكن أن يخرج من احـــد دواوين محمود درويش ٠

ويبقى هذا التفاعل بين الشـــعراء ظاهرة صحية ، لأنه طبيعى ، ولأنه متبـــادل ، ومشروع ٠

ومن أبرز محتويات الديوان المتتالية المسماة « صلوات فى محرابها » وتلك المسماة « أغنيات الى منـــار » حيث نجد بلاغة الايجاز تنطق ٠ ان الايجاز هو ما يميز ديوان نزار قبانى « كتاب الحب » وهو - بين يدى حسن فتح الباب - سلاح فعـــال يرتوى من قدرته على التكثيف والتركيز ٠

ما أكثر ما يقوله الشاعر فى قصيدة لا تتعدى خمسة أبيات :

اليقظة

يطول انتظارك ٠٠
٠٠ أنت التى لم تملى حصارك ٠٠
٠٠ طال نهارك ٠٠
٠٠ ليلك فجر انتصارك ٠٠
٠٠ فاستيقظى (ص ٣٦)

وبضربة سريعة من فرشاته يستطيع أن يختم قصيدة عن أطفال بحر البقر (زيارة) بقوله :

لكنهم تركوا كراسة
حمراء ٠٠ وابتسموا

أو يختم قصيدة « واجب المساء » هـــذا الختام البارع :

وكان « واجب المساء » بطة سوداء منفية ٠

على ان تذوق جمال هذه الخواتيم لايتسنى الا فى سياقها ، فليرجع القارىء الى الديوان ٠

ثمة - فى الديوان - بضعة اخطاء مطبعية تفضل الشاعر بتوجيه نظرى اليهـــا ، وهأنذا اضعها بين يدى القارىء حتى يتمكن من اثبات الصواب فى نسخته ٠

فى ص ٢٥ ينبغى قراءة الأبيـــات على النحو التالى :

عشاق ليل الكوكب المسحور
اننا عصفور هذا الشاطىء المهجور
نموت أو نطير

ص ٥٥ صواب الابيات :

تكبر يوما بعد يوم
وتقرأ الحروف
عرائسا راقصة

ص ٦٨ صواب الابيات :

لنكتب بريشة ضلع
وظفر نزع

للناقد - بل عليه - ان يحاول ايجـــاز خصائص حسن فتح الباب ، ولكن من المؤكد انه لن يستطيع ان يأتى فى وصفه بخـــير مما قاله الشاعر ذاته : اننا نجده وحـــده « باحثا عن قمر / لم ترقه أقدام » (ص ٥٦) ٠ وهو رجل يخطر « فى الحلم / على جسر الحقيقة » (ص ٨٠) :

ان الكلمة الأخيرة - كما هو المتوقع - للشاعر ٠ فذكاؤه - ذكاء الفنان الخالق - يفوق كل اجتهـــادات النقاد ٠ انه همزة الوصل بين الحلم والحقيقة ، والحـــالم - دائما ابدا - بقمر عذرى ، لم تســـبقه اليه قدم ٠